

الجزء الأول

الآفة الأولى الفتور

أولاً : معناه :

لغة : يطلق الفتور لغة على معنيين :

أ - الانقطاع بعد الاستمرار، أو السكون بعد الحركة .

ب - الكسل، أو التراخي، أو التباطؤ بعد النشاط والجدّ .

جاء في لسان العرب : « فتر الشيء، والحرث، وفلان يفتر ويفتر فتوراً، وفْتَاراً: سكن بعد حدة، ولان بعد شدة »^(١) .

اصطلاحاً : أما في الاصطلاح : فهو داء يمكن أن يصيب بعض العاملين، بل قد يصيبهم بالفعل، أدناه : الكسل، أو التراخي، أو التباطؤ، وأعلاه : الانقطاع أو السكون بعد النشاط الدائب، والحركة المستمرة .

قال تعالى عن الملائكة : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾^(٢) يَسْحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴿ [الانبياء] أى : «أنهم في عبادة دائمة يُتَزَهَوْنَ الله عما لا يليق به، ويصلُّون، ويذكرون الله ليل نهار، لا يضعفون ولا يسأمون»^(٢) .

ثانياً : أسبابه :

ويمكن أن يدخل الفتور إلى النفس بسبب من الأسباب التالية :

١ - الغلو والتشدد في الدين :

بالانهماك في الطاعات، وحرمان البدن حقّه من الراحة والطيبات، فإن هذا من

(١) لسان العرب لابن منظور ٥ / ٤٣، مادة : « فتر » .

(٢) صفوة التفاسير للصابوني ٢ / ٢٥٧، ٢٥٨ .

شأنه أن يؤدي إلى الضعف أو السأم والملل، وبالتالي : الانقطاع، والترك، بل ربما أدى إلى سلوك طريق أخرى عكس الطريق التي كان عليها، فينتقل العامل من الإفراط إلى التفريط، ومن التشدد إلى التسبب وهذا أمر بدهي ؛ إذ للإنسان طاقة محدودة، فإذا تجاوزها اعتراه الفتور، فيكسل أو ينقطع .

ولعل ذلك هو السرُّ في تحذير الإسلام الشديد، ونهيه الصريح عن الغلو، والتنطُّع، والتشديد، إذ يقول ﷺ :

«ياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»^(١)، «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا^(٢)، يعني: المتعمقين المجاوزين الحدود في أقوالهم، وأفعالهم، «لا تشددوا على أنفسكم، فُشِدِّدَ عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع، والديارات - رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم »^(٣)، «إن الدين يسرٌ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه...»^(٤) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ في السرِّ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، وقالوا : أين نحن من النبي ﷺ قد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر ؟ قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم . فقال : « أنتم الذين قُلْتُمْ كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فليس مني »^(٥) .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها، وعندها امرأة، فقال : « من هذه ؟ » قالت : هذه فلانة تذكر من صلاتها، قال : « مهْ عليكم بما تطيقون، فو الله لا يملُ الله

(١) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ١ / ٢١٥ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح : كتاب العلم : باب هلك المتنطعون ٤ / ٢٠٥٥ رقم (٢٦٧٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) الحديث أخرجه أبو دارود في: السنن : كتاب الأدب : باب في الحسد ٤ / ٢٧٦ ، ٢٧٧ رقم (٤٩٠) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الإيمان : باب الدين يسر ... إلخ ١ / ١٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب النكاح : باب الترغيب في النكاح ٧ / ٢ ، ومسلم في :

الصحيح : كتاب النكاح : باب استحباب النكاح لمن ناقت نفسه إليه ... إلخ ٢ / ١٠٢٠ رقم (١٤٠١) واللفظ للبخاري .

حتى تملأوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه»^(١)، «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملأ حتى تملأوا، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت مولاة للنبي صلى الله عليه وسلم تصوم النهار، وتقوم الليل، فقيل له : إنها تصوم النهار، وتقوم الليل فقال صلى الله عليه وسلم : « إن لكل عمل شرة وشره إلى فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل »^(٣).

٢ - السرف ومجاوزة الحد في تعاطي المباحات :

فإن هذا من شأنه أن يؤدي إلى السمنة وضخامة البدن، وسيطرة الشهوات، وبالتالي الثقاقل، والكسل، والتراخي، إن لم يكن الانقطاع، والقعود، ولعل ذلك هو السرف في نهى الله ورسوله، وتحذيرهما من السرف.

قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف ٣١] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه... »^(٤).

وقد أدرك سلف الأمة ما يصنعه السرف والتوسع في المباحات بصاحبه فحذروا منه؛ إذ تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أولُ بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبينا الشيع، فإن القوم لما شبعوا بطونهم سمت أبدانهم، فضغفت قلوبهم، وجمحت شهواتهم^(٥).

وإذ يقول عمر رضي الله عنه : إياكم والبطنة في الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسد، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما ؛ فإنه أصلح للجسد، وأبعد

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الإيمان : باب أحب الدين إلى الله أدومه ١ / ١٧ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ١ / ٥٤٠ رقم (٧٨٢)، واللفظ للبخارى .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الصوم : باب التكيل لمن أكثر الوصال ٣ / ٤٩ ، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الصيام : باب النهى عن الوصال فى الصوم ١ / ٧٧٤ ، ٧٧٥ رقم (١١٠٣)، كلاهما عن أبى هريرة رضي الله عنه .

(٣) أورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد : أبواب العيدين : باب الاقتصار فى العمل والدوام عليه ٢ / ٢٦١ ، ٢٦٢ وعقب عليه بقوله : « رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح » .

(٤) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الزهد : باب ما جاء فى كراهية كثرة الأكل ٤ / ٥٠٩ ، ٥١٠ رقم (٢٣٨٠) وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » من حديث المقدام بن معدى كرب رضي الله عنه .

(٥) أورده المنذرى فى : الترغيب والترهيب ٣ / ١٣٧ .

من السرف، وإن الله تعالى ليغضض الخبر السمين، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه (١).

وإذ يقول أبو سليمان الداراني : من شيع دخل عليه ست آفات : فَقَدْ حلاوة المناجاة، وتعذر حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق ؛ لأنه إذا شيع ظن أن الخلق كلهم شباع - وثقل العبادة، وزيادة الشهوات، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدورون حول المزابيل (٢).

٣ - مفارقة الجماعة، وإيثار حياة العزلة والتفرد :

ذلك أن الطريق طويلة الأبعاد، متعددة المراحل، كثيرة العقبات، في حاجة إلى تجديد، فإذا سارها المسلم مع الجماعة، وجد نفسه دوماً متجدد النشاط، قوى الإرادة، صادق العزيمة، أما إذا شذ عن الجماعة وفارقها، فإنه سيفقد من يجدد نشاطه، ويقوى إرادته، ويحرك همته، ويذكره بربه فيسأم ويملّ، وبالتالي يتراخى ويتباطأ، إن لم ينقطع ويقعد .

ولعلّ هذا بعض السرّ في حرص الإسلام وتأكيده وتشديده على الجماعة، وتحذيره من مفارقتها، والشذوذ عنها، إذ يقول الله تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] . ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] . ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٦] . ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران] .

وإذ يقول النبي ﷺ :

« . . . عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة » (٣) . « من فارق الجماعة شبرا، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه » (٤).

(١) أورده الهندي في : كنز العمال (٦٣٠٩) وعزاه للدليمي عن ابن عباس ؓ .

(٢) أورده الغزالي في : إحياء علوم الدين ٩٤ / ٣ .

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب الفتن : باب ما جاء في لزوم الجماعة ٤٠٤ / ٤ رقم (٢١٦٥) وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » من حديث ابن عمر ؓ .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب الأمثال : باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة ١٣٦ ، ١٣٧ رقم (٢٨٦٣) وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح غريب » من حديث الحارث الأشعري ؓ .

« وأمركم بالسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد، والجماعة، فإن من فارق الجماعة شبرا فمات، إلا كانت ميتته ميتة جاهلية » (١). « المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » (٢).
وقد أدرك سلف الأمة ذلك، فلزموا الجماعة، ورغبوا فيها، وأكدوا عليها، يقول على رضي الله عنه : « كدر الجماعة خير من صفو الفرد ».

ويقول عبد الله بن المبارك :

لولا الجماعة ما كانت لنا سبل ولكان أضعفنا نهبا لأقوانا

٤- قلة تذكر الموت والدار الآخرة :

فإن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى فتور الإرادة، وضعف العزيمة، وبطء النشاط والحركة، بل قد يؤدي إلى الوقوف والانقطاع .

ولعلنا - في ضوء هذا - نفهم الحكمة من أمره ﷺ بزيارة القبور بعد النهي والتحذير، إذ يقول : « إنني نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإن فيها عبرة » (٣)، وفي رواية: « كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزورو القبور فإنها ترهّد في الدنيا، وتذكر الآخرة » (٤).

كما نفهم الحكمة من حضرة ﷺ على تذكر الموت، وانتهاء الأجل إذ يقول :

« أيها الناس، استحيوا من الله حق الحياء »، فقال رجل: يا رسول الله، إنا لنستحي من الله تعالى، فقال : « مَنْ كان منكم مستحيا فلا يبيتن ليلة إلا وأجله بين

(١) الحديث أخرجه أحمد في : المسند ٤ / ١٣٠ من حديث الحارث الأشعري .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع : باب (٥٥) ٥٧٢ / ٤ رقم (٢٥٠٧) عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ ، ولم يعقب عليه، وابن ماجه في السنن : كتاب الفتن : باب الصبر على البلاء ٢ / ١٣٣٨ رقم (٤٠٣٢) واللفظ له، وأحمد في : المسند ٢ / ٤٣، كلاهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في : المسند ٣ / ٣٨ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في : السنن : كتاب الجنائز : باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور ٣ / ٣٧٠ رقم (١٠٥٤) وعقب عليه بقوله : « حديث بريدة حديث حسن صحيح »، من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه .

عينه، وليحفظ البطنَ وما حوى، والرأس وما وعى، وليذكر الموتَ والبلى، وليترك زينة الدنيا» (١).

٥ - التقصير في عمل اليوم والليلة :

مثل النوم عن الصلاة المكتوبة بسبب السَّمر الذي لا مبرر له بعد العشاء، ومثل إهمال بعض النوافل الراتبة، وترك قيام الليل، أو صلاة الضحى، أو تلاوة القرآن، أو الذكر أو الدعاء، أو الاستغفار، أو التخلف عن الذهاب إلى المسجد، أو عدم حضور الجماعة بدون عذر، فكلّ ذلك وأمثاله له عقوبات، وأدنى هذه العقوبات : الفتور بأن يكسل ويتشاغل أو ينقطع ويتوقف.

وقد أشار النبي ﷺ في حديثه إلى شيء من هذا، إذ يقول : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقدٍ : يضرب كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، وإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» (٢).

٦ - دخول جوفه شيء محرّم أو به شبهة :

إما بسبب تقصيره وعدم إتقانه للعمل اليومى الذى يتعيش منه، وإما بسبب تعامله فيما نُسِم به شبهة، وإما بسبب غير ذلك، فمثل هذا يعاقب من سيده ومولاه. وأدنى عقاب فى الدنيا : أن يفتر فيقعّد ويرقد عن الطاعات، أو على الأقل يكسل ويتشاغل فلا يجدُ للقيام لذة، ولا للمناجاة حلاوة .

ولعل هذا هو سر دعوة الإسلام إلى أكل الحلال وتحريمه، والابتعاد عن الحرام، وما كانت به أدنى شبهة، إذ يقول الله عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة] . ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب صفة القيامة والرقائق والورع : باب (٢٤) / ٤ / ٥٥٠ رقم (٢٤٥٨) وعقب عليه بقوله : « هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد »، وأحمد فى : المسند / ١ / ٣٨٧، كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب التهجد : باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل ٢ / ٦٥، ومسلم فى : الصحيح : كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ١ / ٥٣٨ رقم (٧٧٦)، كلاهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ [النحل]. ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [المؤمنون].

وإذ يقول النبي ﷺ:

« كل جسد نبت من سحت - أى من حرام - فالنار أولى به »^(١). « الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما يشتبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك، ومن اجتراً على ما يشك فيه من الإثم، أوشك أن يواقع ما استبان، والمعاصي حمى الله، من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقع »^(٢)، « دع ما يريك إلى ما لا يريك »^(٣).

ويرى النبي ﷺ المسلمين عملياً على ذلك حين يجد تمره في الطريق ويرفض أكلها قائلاً: « لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها »^(٤).

وعلى هذا المنهج سار سلف الأمة، فكانوا يفتشون، ويتحرّون عن كل ما يتعلق بحياتهم من الطعام، والشراب، واللباس، والمركب... إلخ، وإذا وجدوا شيئاً شابهة شائبة أو أدنى شبهة اجتنبوه، مخافة أن يجرّهم إلى الحرام، فتفسد قلوبهم، فيحرموا العمل، أو يحرموا قبوله.

عن عائشة رضيها قالت: كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام يُخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أنى خدعته فأعطاني بذلك، فهذا الذى أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شيء فى بطنه »^(٥).

(١) الحديث أورده الأصفهاني فى: حلية الأولياء ١ / ٣١، والهندي فى: كنز العمال (٩٢٥٩)، والسيوطي فى: الدر المنثور ٢ / ٢٨٤ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب البيوع: باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبّهات ٣ / ٧٠، ومسلم فى: الصحيح: كتاب المساقاة: باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣ / ١٢١٩ رقم (١٥٩٩)، كلاهما من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، واللفظ للبخارى.

(٣) الحديث أخرجه الترمذى فى: السنن: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع: باب (٦٠) ٤ / ٥٧٦، ٥٧٧ رقم (٢٥١٨) وعقب عليه بقوله: « هذا حديث حسن صحيح » من حديث الحسن بن على رضي الله عنه.

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب البيوع: باب ما يتزّه من الشبهات ٣ / ٧١، ومسلم فى: الصحيح: كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآله... إلخ ٢ / ٧٥٢ رقم (١٠٧١)، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح: كتاب مناقب الأنصار: باب أيام الجاهلية ٥ / ٥٣، ٥٤.

٧ - اقتصار العامل على جانب واحد من جوانب الدين :

كأن يجعل همه العقيدة فحسب، ملغياً كل شيء غيرها من حسابه، أو يجعل همه الشعائر التعبدية، تاركا كل ما سواها، أو يقتصر على فعل الخيرات ورعاية الآداب الاجتماعية، غاضا الطرف عما عداها، فكل هؤلاء وأمثالهم تأتي عليهم أوقات يصابون فيها لا محالة بالفقر . وهذا أمر بدهي؛ نظرا لأن دين الله موضوع لاستيعاب الحياة كلها، فإذا اقتصر واحد من الناس على بعضه فكأنما أراد أن يحيى بعض الحياة، لا كل الحياة، ثم إذا بلغ الذروة في هذا البعض يتساءل : وماذا بعد ؟ فلا يجد جوابا سوى الفقر إما بالعجز وإما بالكسل .

ولعل ذلك هو أحد أسرار الدعوة إلى أخذ منهج الله كلا بلا تبعض ولا تجزئ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة] ، أى اعملوا بجميع شعب الإيمان، وشرائع الإسلام، ولا تسيروا خلف الشيطان، لما يكتنه لكم من العداوة والبغضاء، فيصرفكم عن منهج الله بالكلية، أو عن بعضه . فتفتروا، وتضيعوا .

٨ - الغفلة عن سنن الله في الكون والحياة :

فإننا نرى صنفا من العاملين لدين الله يريد أن يغير المجتمع كله - أفكاره، ومشاعره، وتقاليده، وأخلاقه، وأنظمته : الاجتماعية، والسياسة، والاقتصادية - فى يوم وليلة، بأساليب ووسائل هى إلى الوهم والخيال أقرب منها إلى الحقيقة والواقع، مع شجاعة وجرأة، وفدائية، لا تستكثر تضحية وإن غلّت، ولا تعباً بالموت سعت إليه أو سعى إليها، ولا تهتم بالنتائج أيا كانت، ما دامت نيتها لله، ومادام هدفها إعلاء كلمة الله، غير واضعين فى حسابهم سنن الله فى الكون والحياة : من ضرورة التدرج فى العمل، ومن أن الغلبة إنما تكون للأتقى، فإذا لم يكن فللأقوى، ومن أن لكل شيء أجلاً مسمى لا يقدم ولا يؤخر... إلخ، فإذا ما نزلوا إلى أرض الواقع، وكان غير ما أملوا وما أرادوا وما عملوا، فتروا عن العمل : إما بالكسل والتوانى والتراخى، وإما بالقعود والانسلاخ والترك .

٩ - التقصير فى حق البدن بسبب ضخامة الأعباء وكثرة الواجبات، وقلة العاملين :

ذلك أننا نجد بعض العاملين ينفقون كل ما يملكون من جهد ووقت وطاقة فى سبيل خدمة هذا الدين، ضائنين على أنفسهم بقليل من الراحة والترويح، فهؤلاء

وأمثالهم، وإن كانوا معذورين بسبب ضخامة الأعباء، وكثرة الواجبات وقلة العاملين، إلا أنه تأتى عليهم أوقات يفترون عن العمل لا محالة .

ولعل هذا هو سر تأكيد عليه السلام على حق البدن، مهما تكن الأعذار والمبررات إذ يقول :

« إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذى حق حقه » ^(١) ، وفى رواية أخرى : « فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً... » ^(٢) .

١٠ - عدم الاستعداد لمواجهة معوقات الطريق :

ذلك أننا نجد بعض العاملين يبدءون السير فى الطريق دون أن يقفوا على معوقاته، من زوجة أو ولد، أو إقبال دنيا، أو امتحان، أو ابتلاء، أو نحو ذلك، وبالتالي لا يأخذون أهبتهم ولا استعدادهم، وقد يحدث أن يصدموا أثناء السير بهذه المعوقات، أو ببعضها، فإذا هم يعجزون عن مواجهتها، يفترون عن العمل إما بالكسل والتراخى، وإما بالوقوف والانقطاع .

وهذا سر تنبيه القرآن الكريم، وتحذيراته المتكررة من معوقات الطريق، إذ يقول سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢) [التغابن] .
﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال : ٢٨] . ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران : ١٧٩] . ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٤) [العنكبوت] . ﴿ وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (٥) [محمد] .

١١ - صحبة ذوى الإرادات الضعيفة، والهمم الدانية :

فقد يحدث أن يصحب العامل نفراً ممن لهم ذبوع وشهرة، وحين يقترب منهم

(١) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الصوم : باب من أقسم على أخيه ليفطر فى التطوع ولم ير عليه قضاءً إذا كان أوفى له ٣ / ٤٩ من حديث أبى جحيفة رضي الله عنه .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى: الصحيح : كتاب الصوم : باب حق الجسم فى الصوم ٣ / ٥١ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

ويعايشهم، يراهم خاوين فاترين فى العمل، كالطبل الأجوف، فإن مضى معهم عدّوه - كما يعدى الصحيح الأجرب - بالفتور والكسل .

وهذا هو سرّ تأكيدهِ ﷺ على ضرورة انتقاء واصطفاء الصاحب، إذ يقول :

« المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم إلى من يخالل » ^(١) ، « إنّما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك : إمّا أن يحذيك، وإمّا أن تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير : إمّا أن يحرق ثيابك، وإمّا أن تجد منه ريحاً متنتة » ^(٢) .

١٢ - العفوية فى العمل سواء على المستوى الفردى أو الجماعى :

ذلك أن كثيرا من العاملين أفرادا كانوا أو جماعات، يمارسون العمل لدين الله بصورة عفوية لا تتبع منهجا، ولا تعرف نظاما، فيقدّمون الأمور الثانوية أو التى ليست بذى بال، ويؤخّرون بل ويهملون الأمور الرئيسية، والتى لا بد منها من أجل التمكين لدين الله، وهذا يؤدى إلى أن تطول الطّريق وتكثر التكاليف والتضحيات، فيكون الفتور غالبا، إن لم تتدخل يد الله بالرعاية والتأييد والثبات.

ولعلنا فى ضوء هذا نفهم سرّ وصيته ﷺ لمعاذ لما وجهه إلى اليمن، إذ قال له : « إنك تأتى قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فتردّ فى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » ^(٣) .

إن الحديث قاعدة رئيسية فى منهجية العمل، وترتيبه، ودقته .

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الزهد : باب (٤٥) / ٤ / ٥٠٩ رقم (٢٣٧٨) وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب » من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب البيوع، باب فى العطار وبيع المسك ٨٢/٣، ومسلم فى : الصحيح : كتاب البر والصلة والآداب : باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ٢٠٢٦/٤ رقم (٢٦٢٨)، كلاهما من حديث أبى موسى رضى الله عنه .

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الزكاة : باب أخذ الصدقة من الأغنياء وتردّ فى الفقراء حيث كانوا ١٥٨/٢، ١٥٩، ومسلم فى الصحيح : كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ٥٠/١ رقم (١٩)، كلاهما من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

١٣ - الوقوع فى المعاصى والسيئات لاسيما صفائر الذنوب مع الاستهانة بها :

فإن ذلك ينتهى بالعامل لا محالة إلى الفتور، وصدق الله الذى يقول : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى] .

وصدق رسول الله ﷺ الذى يقول :

« إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكته » وإن رسول الله ﷺ ضرب لهم مثلاً، « كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجىء بالعود، والرجل يجىء بالعود، حتى جمعوا سواداً، فأججوا ناراً، وأنضجوا ماقدفوا فيها» (١) . « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً، نكت فى قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تملو قلبه، فذلك الرآن الذى ذكره عز وجل : ﴿ كَلَّا بَلْ رَأَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين] (٢) .

تلك هى الأسباب التى توقع فى الفتور غالباً .

ثالثاً : آثاره :

وللفتور آثار ضارة، ومهلكة، سواء على العاملين أو على العمل الإسلامى :

أ - على العاملين :

فمن آثاره على العاملين، قلة رصيدهم - على الأقل - من الطاعات، وربما قُضِىَ أحدهم وهو فاتر كسلان، فيلقى الله مقصراً مفراطاً ؛ لذا كان من دعائه ﷺ :

« اللهم إني أعوذ بك من الهُمِّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » (٣) . « اللهم اجعل خير عمري آخره، اللهم اجعل خواتيم عملى رضوانك، اللهم اجعل خير أيامى يوم ألقاك » (٤) . « ... اجعل خير عمري آخره، وخير عملى خواتيمه، وخير أيامى

(١) الحديث أخرجه أحمد فى: المسند ١ / ٤٠٢ من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، وأورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد : كتاب التوبة : باب فيما يحتقر من الذنوب ١٩٢ / ١٠ وعقب عليه بقوله : « رجاله رجال الصحيح غير عمران بن داود القطان وقد وثق » .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه فى: السنن : كتاب الزهد : باب ذكر الذنوب ١٤١٨ / ٢ رقم (٤٢٤٤)، وأحمد فى: المسند ٢ / ٢٩٧، كلاهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى: السنن : كتاب الصلاة : باب فى الاستعاذة ٩٠ / ٢ رقم (١٥٤٠)، (١٥٤١) من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

(٤) أخرجه ابن السنن عن أنس، وأورده الهيثمى فى: مجمع الزوائد : كتاب الأذكار : باب الدعاء فى الصلاة وبعدها ١١٣ / ١٠ وعقب عليه بقوله : « رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه أبو مالك النخعى وهو ضعيف » .

يوم القاك فيه ... (١) .

وكان من بشرياته لأمته: « إذا أراد الله بعد خيرا استعمله » فقليل : كيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : « يوفقه لعمل صالح قبل الموت » (٢) .

وكان من وصيته لها : « إن العبد لعمل أهل النار، وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة، وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم » (٣) ، « لا عليكم ألا تعجبوا بأحد حتى تنظروا بهم يختم له ... » (٤) .

وكان من تأثر الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما مرض مرض الموت إذ جاء: أنه لما مرض بكى، فقال : إنما أبكى لأنه أصابني على حال فترة، ولم يصبنى على حال اجتهد (٥) ، ويقصد أن المرض أصابه وهو في حال سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات .

ب - على العمل الإسلامي :

ومن آثاره على العمل الإسلامي : طول الطريق، وكثرة التكاليف والتضحيات، إذ مضت سنته سبحانه : ألا يعطى النصر والتمكين للكسالى والغافلين والمنقطعين، وإنما للعاملين المجاهدين الذين أتقنوا العمل، وأحسنوا الجهاد :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ ﴾ [الكهف] . ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل] . ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت] .

(١) أورده الهيثمي في: مجمع الزوائد: كتاب الأدعية، باب فيما يستفتح به الدعاء من حسن الثناء ... إلخ ١٦٠ / ١ ، ١٦١ من حديث أنس، وعقب عليه بقوله : « رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن الأذرمي، وهو ثقة ».

(٢) الحديث أخرجه الترمذی في: السنن: كتاب القدر: باب ما جاء أن الله كتب كتابا لأهل الجنة وأهل النار ٣٩٢ / ٤ رقم (٢١٤٢) وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن صحيح » من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٣) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح : كتاب القدر : باب العمل بالخواتيم ٨ / ١٥٥ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في: المسند ٣ / ١٢٠ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأورده الهيثمي في: مجمع الزوائد: كتاب القدر: باب الأعمال بالخواتيم ٢١٤ / ٧ وعقب عليه بقوله : « رجاله رجال الصحيح » .
(٥) الأثر أورده ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٤٠٨ / ٣ .

رابعاً : علاجه :

ولما كان الفتور يؤدي إلى الآثار والمخاطر التي ذكرنا لزم التحرز والتطهر منه، ويستطيع العاملون التحرز والتطهر منه على النحو التالي :

١ - البعد عن المعاصي والسيئات كبيرها وصغيرها : فإنها نار تحرق القلوب، وتستوجب غضب الله، ومن غضب ربّه عليه فقد خسر خسرانا ميّنا : ﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ (٨١) [طه] .

٢ - المواظبة على عمل اليوم والليلة : من ذكر أو دعاء وضراعة أو استغفار، أو قراءة قرآن، أو صلاة ضحى، أو قيام ليل ومناجاة، لاسيّما في وقت السحر، فإن ذلك كلّهُ مولدٌ إيماني جيد، ينشط النفوس، ويحركها ويعلى الهمم، ويقوى العزائم . قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (٦٦) [الفرقان] . ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَرْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ... إِنَّا سَلَقِيَ عَلَيْكَ فَوْلاً ثَقِيلًا (٥) ﴾ [المزل] .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ نَامَ عَنْ حَزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كَتَبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ » (١) .

٣ - ترصدُ الأوقات الفاضلة والعمل على إحيائها بالطاعات : فإن هذا مما ينشط النفوس، ويقوى الإرادات . يقول ﷺ : « ... فَسَدُّوْا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشُرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ، وَالرُّوحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ » (٢) .

٤ - التحرّر من التشدد والغلوّ في دين الله : فإن ذلك مما ينشط ويساعد على الاستمرار، عن عائشة رضيها قالت : كان لرسول الله ﷺ حصير، وكان يحجره (٣) من الليل فيصلّى فيه، فجعل الناس يصلّون بصلاته، ويسطه بالنهار، فتأبوا (٤) ذات ليلة، فقال : « يا أيها الناس، عليكم من الأعمال ماتطيقون، فإن الله لا يملُ حتى تمّلوا، وإن أحب الأعمال إلى الله مادوومٌ عليه، وإن قلَّ » وكان آل محمد رضيهم إذا عملوا عملاً أثبتوه (٥) .

(١) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض ١ / ٥١٥ رقم (٧٤٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الإيمان : باب الدين يسر ... إلخ ١ / ١٦٦ من حديث أبي هريرة رضي .

(٣) يحجره : أى يتخذ حجرة . (٤) تأبوا : أى اجتمعوا للصلاة .

(٥) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب صلاة المسافرين وقصرها : باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره ١ / ٥٤٠ ، ٥٤١ رقم (٧٨٢) .

ولا جرم أن نشير هنا إلى أن التحرر من التشدد والغلو لا يعنى الترك والإهمال، بل يعنى الاقتصاد والتوسط، مع المحافظة على ما اعتاده من العمل، ومع اتباع السنة، قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل، فترك قيام الليل » (١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » (٢).

٥ - دفن النفس فى أحضان الجماعة، وعدم اعتزالها أو الشذوذ عنها بحال من الأحوال : وحسبنا قوله صلى الله عليه وسلم : « الجماعة رحمة، والفرقة عذاب » (٣)، « يد الله مع الجماعة » (٤)، وقول على رضي الله عنه المذكور آنفا : كدر الجماعة خير من صفو الفرد .

٦ - الانتباه إلى سنن الله فى الإنسان والكون، ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر]، من استفراغ الطاقة وبذل الجهد الإنسانى أولاً : ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ [محمد : ٤] .

ومن التدرج فى العمل كما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر، ولو نزل: ولا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً (٥) .

وكما عبر عنه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين - فقد أراد أن يعود

(١) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب التهجد : باب ما يكره من قيام الليل لمن كان يقومه ٦٨/٢، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الصيام : باب النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقاً ... إلخ ٢ / ٨١٤ رقم (١١٥٩) .

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... إلخ ٩ / ١١٧، ومسلم فى : الصحيح : كتاب الفضائل : باب توقيفه صلى الله عليه وسلم وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ... إلخ ٤ / ١٨٣٠ رقم (١٣٣٧)، كلاهما من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٣) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٤ / ٢٧٨، ٣٧٥ من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وأورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد : كتاب الخلافة : باب لزوم الجماعة وطاعة الأئمة والنهى عن قتالهم ٥ / ٢٢٠، ٢٢١ وعقب عليه بقوله : « رجاله ثقات » .

(٤) الحديث أخرجه الترمذى فى : السنن : كتاب الفتن : باب ما جاء فى لزوم الجماعة ٤ / ٤٠٥ رقم (٢١٦٦) وعقب عليه بقوله : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه » من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(٥) الحديث أخرجه البخارى فى : الصحيح : كتاب فضائل القرآن : باب تأليف القرآن ٦ / ٢٢٨ .

بالحياة إلى هَدْي الخلفاء الأربعة، لكن بعد أن يتمكن ويمسك الخيوط في يديه، وكان له ابن يقال له : عبد الملك، فيه فتوةٌ، وحماسٌ، وحيوية وتقى، فأنكر على أبيه البطء، وعدم الإسراع فى إزالة كلِّ بقايا الانحراف والمظالم، حتَّى تعود الحياة إلى سيرتها الأولى أيام الرّاشدين، إذ قال له يوما :

مالك يا أبت لا تنفذ الأمور ؟ فوالله ما أبالى، لو أن القدور غلت بى وبك فى الحقّ .

فكان جواب الأب الفقيه : لا تعجل يا بنى، فإنَّ الله ذمَّ الخمر فى القرآن مرتين، وحرّمها فى الثالثة، وإننى أخاف أن أحمل الناس على الحقّ جملة، فيدعوه جملة، فيكون من ذا فتنة ... إلخ^(١) .

٧ - الوقوف على معوّقات الطّريق من أوّل يوم فى العمل : حتى تكون الأهبة، ويكون الاستعداد لمواجهةها، والتعلّب عليها، فلا يبقى مجال لفتور أو انقطاع .

٨ - الدقّة والمنهجية فى العمل : على معنى مراعاة الأولويات، وتقديم الأهم، وعدم الدّخول فى معارك جانبية، أو مسائل جزئية هامشية .

٩ - صحبة الصالحين المجاهدين من عباد الله: إذ أنّ هؤلاء لهم من الصّفاء النفسى، والإشراق القلبي، والإشعاع الروحى ما يسبى، ويجذب، بل ما يحرك الهمم والعزائم، ويقوى الإرادات .

وقد لفت النّبى ﷺ الأنظار إلى ذلك حين قال : « ألا أخبركم بخير النّاس؟ » قالوا : بلى يا رسول الله، قال : « مَنْ تُذَكِّرُكُمْ رؤيته بالله عزّ وجلّ »^(٢) .

١٠ - إعطاء البدن حقّه من الرّاحة، والطّعام والشّرّاب مع الاعتدال فى ذلك ؛ فإن هذا مما يجدد نشاط الجسم، ويعيد إليه قوّته وحيويّته .

وقد أرشد النّبى ﷺ العاملين إلى ذلك : فقد دخل مرّة المسجد، فرأى حبلا

(١) انظر : الموافقات للشاطبي ٢ / ٩٤ . طبعة دار المعرفة بيروت .

(٢) الحديث أخرجه أحمد فى : المسند ٤٥٩/٦ من حديث أسماء بنت يزيد رضيا ، وأورده الهيثمى فى : مجمع الزوائد : كتاب الأدب : باب ما جاء فى الغيبة والنميمة ٨ / ٩٦ وعقب عليه بقوله : « فيه شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح » بلفظ : « ألا أخبركم بخياركم ... الذين إذا رؤوا ذكّر الله تعالى ... » .

مدودا بين ساريتين، فقال : « ما هذا الحيل ؟ » قالوا : هذا حيل لزيب ، فإذا فترت تعلقت به ، فقال النبي ﷺ : « حُلُّوهُ ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليرقد » (١) ، وقال أيضا : « إذا نعس أحدكم - وهو يصلى - فليرقد ، حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر ، فيسب نفسه » (٢) .

١١- الترفيه عن النفس بالمباحات ، من مداعبة الأهل ، أو ملاعبة الأولاد ، أو القيام ببعض الرحلات : التهرية للتجديف ، أو القمريّة للرياضة ، والتدبر والتفكير ، أو الجبلية للصعود والتسلق ، أو الصحراوية للتمرّس والتعود على مواجهة مشاق الحياة ، أو الحقلية أو غير ذلك ، فإنّ هذا مما يطرد السأم والملل ، ويقضى على الفتور والكسل ، بحيث يعود المسلم إلى ممارسة نشاطه وكأنّما ولد من جديد ، أو صار خلقا آخر .

عن أبي ربيع حنظلة بن الربيع الأسدي الكاتب ، أحد كتاب رسول الله ﷺ قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ، ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكّرنا بالنار والجنة كأنّنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيرا ، قال أبو بكر رضي الله عنه : فوالله إنّنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت : نافق حنظلة يا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » قلت : يا رسول الله ، نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنّنا رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيرا ، فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، إن لو تدومون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر ؛ لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » ثلاث مرات (٣) .

(١) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب التهجد ، باب ما يكره من التشديد في العبادة ٢ / ٦٧ ، ومسلم في الصحيح : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك ١ / ٥٤١ رقم (٧٨٤) . كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح : كتاب الوضوء ، باب الوضوء من النوم ومن لم ير من النعسة والنعسين أو الخفقة وضوء ١ / ٦٣ ، ٦٤ ، ومسلم في الصحيح : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك ١ / ٥٤٢ ، ٥٤٣ رقم (٧٨٦) ، كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في : الصحيح : كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا ٤ / ٢١٠٦ رقم (٢٧٥٠) .

١٢ - دوام النظر والمطالعة في كتب السيرة ، والتاريخ والتراجم ؛ فإنَّها مشحونة بكثير من أخبار العاملين المجاهدين، أصحاب العزائم القويّة، والإرادات الصّادقة، التي تُسرّي عن النفس وتسليها، وتولد فيها حب الاقتداء والتأسي، وصدق الله - سبحانه وتعالى - الذي يقول : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف : ١١١] .

وعلى سبيل المثال : حين يقرأ المسلم عن « عمر بن عبد العزيز » أنه كان إذا فتر في الوقت من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس وارتفاعها قليلا، أخذ يدور في صحن بيته، ويردد على نفسه :

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر أي المحلين تنزل

حين يقرأ المسلم ذلك، تتحرك مشاعره، وأحاسيسه، فينشط ويجاهد نفسه ليكون ضمن قافلة العاملين المجاهدين .

١٣ - تذكر الموت وما بعده من سؤال القبر ، وظلمته ووحشته ، والبعث والحشر.... إلخ ؛ فإن هذا مما يوقظ النفس من نومها، ويوقفها من رقدتها، وينبها من غفلتها، فتتنشط وتتابع السير، وخير وسيلة لتذكر الموت الذهاب إلى القبور - ولو مرة في كل أسبوع - وزيارتها والاعتبار بأحوال أهلها، « كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإن فيها عبرة » (١) .

وجاء عن ابن السَّمَّاك الواعظ : أنه كان قد حفر حفرة في بيته كأنها قبر وكلما أحسَّ من نفسه فتورا أو كسلا نزل إلى هذه الحفرة، واستلقى كأنما قد مات، ثم يتخيَّل أنه قد سئل، وأن أعماله قد قصرت به، ويأخذ في الاستغاثة والصراخ، وطلب العودة قائلا : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون] .

وبعد طول استغاثة وصراخ، وطلب، يجيب نفسه، ها أنت يا ابن السَّمَّاك قد أعطيت فرصة أخرى، ثم يقوم من قبره، وكأنما نشط من عقال .

١٤ - تذكر الجنة والنار وما فيهما من النعيم والعذاب ؛ فإن ذلك ممَّا يذهب النَّوم عن الجفون، ويحرك الهمم السَّاكنة والعزائم الفاترة، جاء عن هرم بن حيان أنه كان يخرج في بعض الليالي، وينادي بأعلى صوته : عجبت من الجنة كيف ينام طالبها،

(١) الحديث سبق تخريجه ص ١١ .

وعجبت من النار كيف ينام هاربها، ثم يقول : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ (٤٧) ﴿ (١) [الأعراف] .

١٥- حضور مجالس العلم ؛ إذ العلم حياة القلوب، ربما سمع العامل كلمة من عالم صادق مخلص، فنشطته سنة كاملة، بل الدهر كله، وصدق الله الذي يقول : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] ، ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١١٤) ﴿ [طه] .

١٦ - أخذ هذا الدين بعمومه وشموله ، دون التخلي عن شيء منه ؛ فإن ذلك يضمن الدوام والاستمرار، حتى تنقضى الحياة، ونلقى الله .

١٧ - محاسبة النفس ، والتفتيش فيها دائما ؛ فإن ذلك عما يبصر بالعيوب في بدايتها، فتسهل معالجتها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٨) ﴿ [الحشر] .